دور مصر

في بناء الحضارة الإنسانية

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

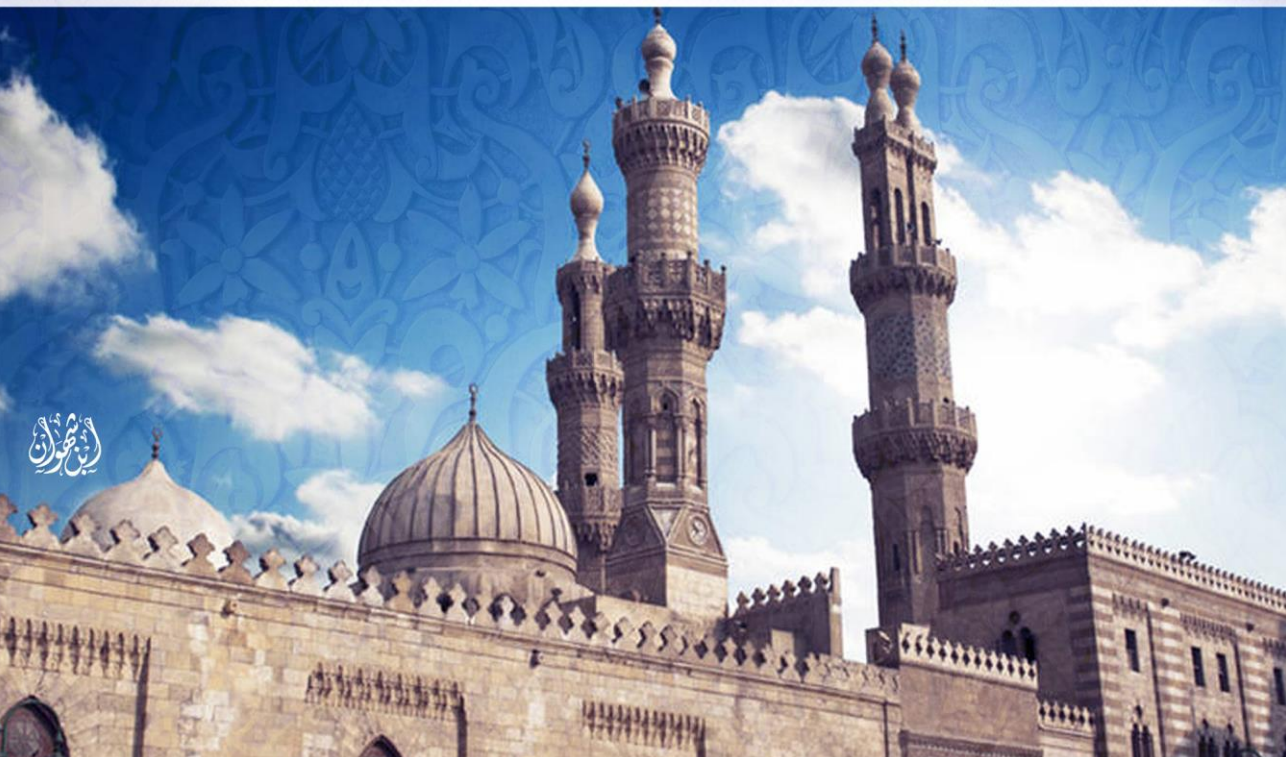

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

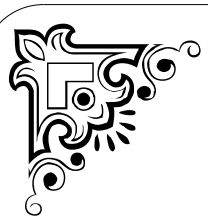

فَضْلُ مِصْرَ وَأَهْلِهَا(١)

فَإِنَّ اللهَ فَضَّلَ مِصْرَ عَلَىٰ سَائِرِ الْبُلْدَانِ، كَمَا فَضَّلَ بَعْضَ النَّاسِ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَالْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ، وَالْفَضْلُ عَلَىٰ ضَرْبَيْنِ: فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا، أَوْ فِيهِمَا جَمِيعًا.

وَقَدْ فَضَّلَ اللهُ مِصْرَ وَشَهِدَ لَهَا فِي كِتَابِهِ بِالْكَرَمِ وَعِظَمِ الْمَنْزِلَةِ، وَذَكَرَهَا بِاسْمِهَا، وَخَصَّهَا دُونَ غَيْرِهَا، وَكَرَّرَ ذِكْرَهَا، وَأَبَانَ فَضْلَهَا فِي آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ تُنْبِئُ عَنْ مِصْرَ وَأَحْوَالِهَا، وَأَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا، وَالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ وَالْمُلُوكِ الْمَاضِيَةِ، وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، يَشْهَدُ لَهَا بِذَلِكَ الْقُرْآنُ، وَكَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا.

وَمَعَ ذَلِكَ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي مِصْرَ وَفِي عَجَمِهَا خَاصَّةً، وَذِكْرِهِ لِقَرَابَتِهِمْ وَرَحِمِهِمْ، وَمُبَارَكَتِهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ بَلَدِهِمْ، وَحَثِّهِ عَلَىٰ بِرِّهِمْ، مَا لَمْ يُرْوَ عَنْهُ فِي قَوْمٍ مِنَ الْعَجَمِ غَيْرِهِمْ.

مَعَ مَا خَصَّهَا اللهُ بِهِ مِنَ الْخِصْبِ وَالْفَضْلِ، وَمَا أَنْزَلَ فِيهَا مِنَ الْبَرَكَاتِ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ وَالْخَوَاصِّ وَالْمُلُوكِ وَالْعَجَائِبِ بِمَا

(١) مُسْتَفَادٌ فِي جُمْلَتِهِ مِنْ «فَضَائِلِ مِصْرَ» لِابْنِ الْكِنْدِيِّ.

لَمْ يَخْصُصِ اللهُ بِهِ بَلَدًا غَيْرَهَا، وَلَا أَرْضًا سِوَاهَا.

فَإِنْ ثَرَّبَ(١) عَلَيْنَا مُثَرِّبٌ بِذِكْرِ الْحَرَمَيْنِ، أَوْ شَنَّعَ مُشَنِّعٌ، فَلِلْحَرَمَيْنِ فَضْلُهُمَا الَّذِي لَا يُدْفَعُ، وَمَا خَصَّهُمَا اللهُ بِهِ مِمَّا لَا يُنْكَرُ؛ مِنْ مَوْضِعِ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، وَقَبْرِ نَبِيِّهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَلَيْسَ مَا فَضَّلَهُمَا اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ بِبَاخِسٍ فَضْلَ مِصْرَ وَلَا بِنَاقِصٍ مَنْزِلَتَهَا.

*** ذِكْرُ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ مِصْرَ:**

فَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ مِنْ ذِكْرِ مِصْرَ، فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧].

وَمَا ذَكَرَهُ اللهُ ﷻ حِكَايَةً عَنْ قَوْلِ يُوسُفَ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١] عَلَىٰ أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: هِيَ مِصْرُ.

وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ مِصْرَ: هِيَ الْبَهْنَسَا.

---

(١) **ثَرَّبَ عَلَيْهِ**: لَامَهُ، وَالْمُثَرِّبُ -بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ-: الْمُخَلِّطُ الْمُفْسِدُ.

وَقِبْطُ مِصْرَ مُجْمِعُونَ عَلَىٰ أَنَّ الْمَسِيحَ عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ عليهما السلام كَانَا بِالْبَهْنَسَا، وَانْتَقَلَا عَنْهَا إِلَىٰ الْقُدْسِ. وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: الرَّبْوَةُ: دِمَشْقُ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ [يوسف: ٢١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٣٠].

وَالْمَدِينَةُ: مَنْفٌ، وَالْعَزِيزُ: رَئِيسُ وُزَرَاءِ مِصْرَ حِينَئِذٍ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: ١٥].

هِيَ: مَنْفٌ، مَدِينَةُ فِرْعَوْنَ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠].

هِيَ: مَنْفٌ أَيْضًا.

وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾ [يوسف: ٧٨، ٨٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنْ يُوسُفَ عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنْ فِرْعَوْنَ وَافْتِخَارِهِ بِمِصْرَ: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: ٥١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ حِينَ وَصَفَ مِصْرَ وَمَا كَانَ فِيهِ آلُ فِرْعَوْنَ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْمُلْكِ بِمَا لَمْ يَصِفْ بِهِ مَشْرِقًا وَلَا مَغْرِبًا، وَلَا سَهْلًا وَلَا جَبَلًا، وَلَا بَرًّا وَلَا بَحْرًا: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٥- ٢٧].

وَالْمَقَامُ الْكَرِيمُ: مِصْرُ، فَقَدْ كَرَّمَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَوَصَفَهَا بِالْكَرَمِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ.

فَهَلْ يُعْلَمُ أَنَّ بَلَدًا مِنَ الْبُلْدَانِ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ بِمِثْلِ هَذَا الثَّنَاءِ أَوْ وَصَفَهُ بِمِثْلِ هَذَا الْوَصْفِ، أَوْ شَهِدَ لَهُ بِالْكَرَمِ غَيْرَ مِصْرَ؟!

وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مِصْرُ، فَاسْتَوْصُوا بِقِبْطِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَكُمْ مِنْهُمْ صِهْرًا وَذِمَّةً**»(١).

وَرَوَىٰ أَبُو ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**»(٢). وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ،

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ فِي «فُتُوحِ مِصْرَ» (ص٢٠، ١٦٧)، وَالدَّارَقُطْنِيُّ فِي «الْمُؤْتَلِفِ وَالْمُخْتَلِفِ» (٢/ ١٠٠٤)، دَارُ الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ - بَيْرُوتُ، وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٤٦/ ١٦٣)، مِنْ طَرِيقِ: إِسْحَاقَ بْنِ الْفُرَاتِ، عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ مَالِكٍ الْحِمْيَرِيِّ، عَنْ بَحِيرِ بْنِ ذَاخِرٍ الْمَعَافِرِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ عز وجل سَيَفْتَحُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مِصْرَ، فَاسْتَوْصُوا بِقِبْطِهَا خَيْرًا؛ فَإِنَّ لَكُمْ مِنْهُمْ صِهْرًا وَذِمَّةً**».

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٥٤٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه.

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ يَرْفَعُهُ: «**إِذَا فُتِحَتْ مِصْرُ، فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**»(١). صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

فَأَمَّا الرَّحِمُ: فَإِنَّ هَاجَرَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام مِنَ الْقِبْطِ، مِنْ قَرْيَةٍ نَحْوَ (الْفَرَمَا)، يُقَالُ لَهَا -أَيْ: لِهَاجَرَ-: أُمُّ الْعَرَبِ.

وَأَمَّا الذِّمَّةُ: فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَسَرَّىٰ مِنَ الْقِبْطِ (مَارِيَةَ) أُمَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهِيَ مِنْ قَرْيَةٍ نَحْوَ الصَّعِيدِ، يُقَالُ لَهَا: (حَفْنٌ)، مِنْ كُورَةِ (أَنْصِنَا)، وَالْكُورَةُ تَشْمَلُ عَدَدًا مِنَ الْقُرَىٰ، وَيُقَابِلُهَا الْمَرْكَزُ: فِي النِّظَامِ الْإِدَارِيِّ الْمِصْرِيِّ الْحَاضِرِ.

وَ(أَنْصِنَا): مَدِينَةٌ أَزَلِيَّةٌ مِنْ نَوَاحِي الصَّعِيدِ شَرْقَيِّ النِّيلِ، وَفِي أَوَائِلِ الْقَرْنِ الثَّالِثَ عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ قُيِّدَ زِمَامُهَا بِاسْمِ: (الشَّيْخِ عُبَادَةَ)، وَمَكَانُهَا الْيَوْمَ: الْأَطْلَالُ الْوَاقِعَةُ شَرْقَيِّ النِّيلِ بِمَرْكَزِ مَلَّوِي بِمُحَافَظَةِ الْمِنْيَا.

فَالْعَرَبُ وَالْمُسْلِمُونَ كَافَّةً لَهُمْ نَسَبٌ بِمِصْرَ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِمْ (مَارِيَةَ) أُمِّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْقِبْطَ أَخْوَالُهُمْ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّحَاوِيُّ فِي «الْمُشْكِلِ» (٦/ ١٣٧، رَقْمَ ٢٣٦٤)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٩/ ٦١، رَقْمَ ١١١ – ١١٣)، مَكْتَبَةُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ - الْقَاهِرَةُ، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤٠٣٢)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (٦/ ٣٢٢)، ط: الْعِلْمِيَّةِ، مِنْ طَرِيقِ: الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ،...بِهِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٣٧٤).

وَصَارَتِ الْعَرَبُ كَافَّةً مِنْ مِصْرَ، بِأُمِّهِمْ (هَاجَرَ)؛ لِأَنَّهَا أُمُّ (إِسْمَاعِيلَ) ﷺ، وَهُوَ أَبُو الْعَرَبِ، وَجَدُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَدْ كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُلُوكِ مِنْهُمْ (هِرَقْلُ) فَمَا أَجَابَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَكَتَبَ إِلَىٰ (الْمُقَوْقِسِ) صَاحِبِ مِصْرَ، فَأَجَابَهُ عَنْ كِتَابِهِ جَوَابًا جَمِيلًا، وَأَهْدَىٰ إِلَيْهِ ثِيَابًا وَكُرَاعًا[1]، وَجَارِيَتَيْنِ مِنَ الْقِبْطِ؛ (مَارِيَةَ، وَأُخْتَهَا)، وَأَهْدَىٰ إِلَيْهِ عَسَلًا، فَقَبِلَ هَدِيَّتَهُ، وَتَسَرَّىٰ مَارِيَةَ، فَأَوْلَدَهَا ابْنَهُ إِبْرَاهِيمَ، وَأَهْدَىٰ أُخْتَهَا لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَأَوْلَدَهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حَسَّانٍ.

وَذَكَرَ الْمَقْرِيزِيُّ فِي «الْخُطَطِ»[2]، وَابْنُ ظَهِيرَةَ فِي «مَحَاسِنِ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ»[3]، وَالْقَلْقَشَنْدِيُّ فِي «صُبْحِ الْأَعْشَىٰ»[4]، وَالنُّوَيْرِيُّ فِي «نِهَايَةِ الْأَرَبِ»[5] عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: دَعَا نُوحٌ عليه السلام رَبَّهُ لِوَلَدِهِ وَلِوَلَدِ وَلَدِهِ مِصْرَ بْنِ بَيْصَرَ بْنِ حَامِ بْنِ نُوحٍ، وَبِهِ سُمِّيَتْ مِصْرُ، وَهُوَ أَبُو الْقِبْطِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ وَفِي ذُرِّيَّتِهِ، وَأَسْكِنْهُ الْأَرْضَ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي هِيَ أُمُّ الْبِلَادِ وَغَوْثُ الْعِبَادِ، وَنَهْرُهَا أَفْضَلُ أَنْهَارِ الدُّنْيَا، وَاجْعَلْ فِيهَا أَفْضَلَ الْبَرَكَاتِ، وَسَخِّرْ لَهُ وَلِوَلَدِهِ الْأَرْضَ،

---

(١) **الْكُرَاعُ**: اسْمٌ يَجْمَعُ الْخَيْلَ. وَالْكُرَاعُ: السِّلَاحُ.
وَقِيلَ: هُوَ اسْمٌ يَجْمَعُ الْخَيْلَ وَالسِّلَاحَ.

(٢) «الْخُطَطُ» لِلْمَقْرِيزِيِّ (١/ ٢٧).

(٣) «مَحَاسِنُ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ» لِابْنِ ظَهِيرَةَ (٧٨).

(٤) «صُبْحُ الْأَعْشَىٰ» لِلْقَلْقَشَنْدِيِّ (٣/ ٣١٣).

(٥) «نِهَايَةُ الْأَرَبِ» لِلنُّوَيْرِيِّ (١/ ٣٤٧).

وَذَلِّلْهَا لَهُمْ، وَقَوِّهِمْ عَلَيْهَا»(١).

وَالْكَعْبَةُ: الْبَيْتُ الْحَرَامُ، وَهُوَ بَيْتُ هَاجَرَ وَابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ عليهما السلام اللَّذَيْنِ كَانَا يَسْكُنَانِهِ، وَرُوِيَ أَنَّ الْبَيْتَ هُدِمَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَوَلَّتْ قُرَيْشٌ بِنَاءَهُ رَجُلًا مِنَ الْقِبْطِ يُقَالُ لَهُ: بَاقُومُ، فَأَدْرَكَهُ الْإِسْلَامُ -أَيْ: أَدْرَكَ الْإِسْلَامُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ- وَهُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ.

*** وَصَاهَرَ الْقِبْطَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ:**

إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عليه السلام، بِتَسَرِّيهِ هَاجَرَ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ عليهما السلام.

وَيُوسُفُ بِتَزَوِّجِهِ بِنْتَ صَاحِبِ عَيْنِ شَمْسٍ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣].

وَمُحَمَّدٌ ﷺ بِتَسَرِّيهِ مَارِيَةَ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ.

*** وَمِمَّنْ ذَكَرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ:**

- رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

- **وَمِنْهُمْ**: وُزَرَاءُ فِرْعَوْنَ وَجُلَسَاؤُهُ، ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ حُسْنَ الْمَحْضَرِ وَرَجَاحَةَ الْعَقْلِ، قَالَ تَعَالَىٰ حِكَايَةً عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ فِي «فُتُوحِ مِصْرَ» (ص٢٧).

لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٣٤- ٣٧].

فَهَلْ فِي الدُّنْيَا جُلَسَاءُ مَلِكٍ أَرْجَحُ عَقْلًا وَأَحْسَنُ مَحْضَرًا مِنْهُمْ؟! حَيْثُ أَنْصَفُوا، وَأَمَرُوا أَنْ يُمْتَحَنَ بِمِثْلِ مَا وَقَعَ لَهُمْ أَنَّهُ يُشْبِهُ مَا جَاءَ بِهِ، وَلَمْ يَكُونُوا فِي الْمَنْزِلَةِ وَقُبْحِ الْمَحْضَرِ كَوُزَرَاءِ نُمْرُودَ، حِينَ شَاوَرَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

ذَكَرَ اللهُ ﷻ ذَلِكَ عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ.

- **وَمِنْهُمْ**: السَّحَرَةُ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا لِمُوسَىٰ، وَحِينَ رَأَوْا آيَاتِ مُوسَىٰ لَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ الْكُفْرِ، وَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ آمَنُوا وَسَجَدُوا لِلَّهِ ﷻ.

قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٦- ٤٨].

وَفِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ كَرَّرَ ذِكْرَهُمْ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢].

وَرَوَىٰ ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ هُبَيْرَةَ السَّبَئِيِّ، وَبَكْرِ ابْنِ عُمَرَ الْخَوْلَانِيِّ، وَيَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، قَالُوا: «كَانَ عَدَدُ السَّحَرَةِ اثْنَيْ عَشَرَ سَاحِرًا تَحْتَ يَدَيْ كُلِّ سَاحِرٍ مِنْهُمْ عِشْرُونَ عَرِيفًا، تَحْتَ يَدَيْ كُلِّ عَرِيفٍ مِنْهُمْ أَلْفٌ مِنَ السَّحَرَةِ، فَكَانَ جَمِيعُ السَّحَرَةِ مِئَتَيْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا وَمِئَتَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ إِنْسَانًا

بِالرُّؤَسَاءِ وَالْعُرَفَاءِ»(١).

وَأَجْمَعَتِ الرُّوَاةُ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يُعْلَمُ جَمَاعَةٌ أَسْلَمَتْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ أَكْثَرَ مِنْ جَمَاعَةِ الْقِبْطِ، وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمْ يُفْتَتَنْ رَجُلٌ وَاحِدٌ مِنْهُمْ كَمَا افْتُتِنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِعِبَادَةِ الْعِجْلِ.

وَرُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو قَالَ: «الْقِبْطُ أَكْرَمُ الْأَعَاجِمِ مَحْتِدًا، وَأَسْمَحُهُمْ يَدًا، وَأَفْضَلُهُمْ عُنْصُرًا، وَأَقْرَبُهُمْ رَحِمًا بِالْعَرَبِ كَافَّةً، وَبِقُرَيْشٍ خَاصَّةً»(٢).

*** وَأَمَّا مَنْ كَانَ بِمِصْرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-**: فَإِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ، وَإِسْمَاعِيلُ، وَيَعْقُوبُ، وَيُوسُفُ، وَاثْنَا عَشَرَ نَبِيًّا مِنْ وَلَدِ يَعْقُوبَ وَهُمُ الْأَسْبَاطُ، وَمُوسَىٰ، وَهَارُونُ، وَيُوشَعُ بْنُ نُونٍ، وَعِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ، وَدَانِيَالُ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

فَهَذَا مَا ذُكِرَ: مَنْ كَانَ بِهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ.

*** مَنْ كَانَ بِمِصْرَ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الصَّحَابَةِ:**

وَأَمَّا مَنْ كَانَ بِهَا فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَحْبَارِ وَالزُّهَّادِ، وَمَنْ دَخَلَهَا مِنَ الْمُلُوكِ وَالْخُلَفَاءِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ وَالشِّعْرِ وَالنَّحْوِ وَالْخَطَابَةِ، وَكُلُّ مَنْ بَرَعَ عَلَىٰ أَهْلِ زَمَانِهِ، أَوْ نَجَمَ عَلَىٰ أَهْلِ عَصْرِهِ، فَيَتَّسِعُ عَلَىٰ الْحَاصِرِ حَصْرُهُ.

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ فِي «فُتُوحِ مِصْرَ» (ص٢٤).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ فِي «فُتُوحِ مِصْرَ» (ص٢٣).

ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالرِّوَايَةِ أَنَّهُ دَخَلَ مِصْرَ فِي فَتْحِهَا مِمَّنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِئَةُ رَجُلٍ وَنَيِّفٌ.

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ: «وَقَفَ عَلَىٰ إِقَامَةِ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ثَمَانُونَ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ مِنْهُمُ: الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَفَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَمَحْمِيَّةُ بْنُ جَزْءٍ، وَنُبَيْهُ بْنُ صُؤَابٍ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ، وَرَبِيعَةُ بْنُ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَمْرُو بْنُ عَلْقَمَةَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَخَارِجَةُ بْنُ حُذَافَةَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، وَأَبُو رَافِعٍ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَمَسْلَمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ، وَأَبُو أَيُّوبَ، وَرُوَيْفِعُ بْنُ ثَابِتٍ، وَهُبَيْبٌ، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَفُوا عَلَىٰ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ -مَسْجِدِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ-، وَهُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ بِإِفْرِيقِيَّةَ»(١).

*** وَأَمَّا مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ، فَمِنْهُمْ:**

يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَلَهُ مَذْهَبٌ انْفَرَدَ بِهِ. وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الرَّشِيدَ مِنْ يَمِينِهِ الَّتِي عَجَزَ عَنْهَا فُقَهَاءُ الدُّنْيَا، وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ

(١) «صُبْحُ الْأَعْشَىٰ» (٣/ ٣٨٥)، ط: الْعِلْمِيَّةِ، وَ«النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ» (١/ ٦٧)، وَ«حُسْنُ الْمُحَاضَرَةِ» (٢/ ٢٣٩).

يَفُوقُ بِتَصْنِيفِهِ جَمَاعَةً مِنَ الْفُقَهَاءِ الْمُصَنِّفِينَ، وَلَهُ مِنْ تَصْنِيفِهِ نَحْوُ مِئَةِ جُزْءٍ، وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ لَهِيعَةَ، لَهُ مَنْزِلَةٌ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَخْبَارِ.

وَمِنْهُمْ: أَشْهَبُ، وَابْنُ الْقَاسِمِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ، وَأَسَدُ بْنُ مُوسَىٰ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ، وَالْمُزَنِيُّ، وَالرَّبِيعُ الْمُؤَذِّنُ، وَأَحْمَدُ بْنُ سَلَامَةَ الطَّحَاوِيِّ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ بَرَعَ فِي مَذْهَبِهِ، وَنَجَمَ عَلَىٰ أَهْلِ عَصْرِهِ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنَ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ مَا يَعْجِزُ عَنْ نَظِيرِهَا سَائِرُ أَهْلِ الدُّنْيَا.

وَمِنْهُمْ: سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، وَيَحْيَىٰ بْنُ عُثْمَانَ، وَابْنُ قُدَيْدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْكِنْدِيُّ، وَابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ فَاقَ أَهْلَ عَصْرِهِ وَارْتَفَعَ عَلَيْهِمْ فِي الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ وَالْأَخْبَارِ وَأَيَّامِ النَّاسِ وَالتَّفَنُّنِ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ.

*** مَنْ وُلِدَ بِمِصْرَ مِنَ الْخُلَفَاءِ:**

وُلِدَ بِمِصْرَ مِنَ الْخُلَفَاءِ: الْخَلِيفَةُ الْعَادِلُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَنَاصِرُ السُّنَّةِ الْخَلِيفَةُ الْمُتَوَكِّلُ عَلَىٰ اللهِ.

*** مَنْ دَخَلَ مِصْرَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ:**

وَأَمَّا مَنْ دَخَلَ مِصْرَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ: فَالشَّعْبِيُّ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعِكْرِمَةُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُلَيَّةَ، وَالشَّافِعِيُّ الْإِمَامُ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ.

*** ذِكْرُ مَنْ دَخَلَ مِصْرَ مِنَ الْخُلَفَاءِ:**

وَدَخَلَ مِصْرَ مِنَ الْخُلَفَاءِ: مُعَاوِيَةُ، وَمَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ،

وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، وَمَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَالسَّفَّاحُ، وَالْمَنْصُورُ، وَالْمَأْمُونُ، وَالْمُعْتَصِمُ، وَالْوَاثِقُ.

*** ذِكْرُ مِصْرَ وَفَضْلِهَا عَلَىٰ غَيْرِهَا مِنَ الْأَمْصَارِ:**

وَأَمَّا ذِكْرُ مِصْرَ وَفَضْلِهَا عَلَىٰ غَيْرِهَا مِنَ الْأَمْصَارِ، وَمَا خُصَّتْ بِهِ وَأُوثِرَتْ بِهِ عَلَىٰ غَيْرِهَا، فَرَوَىٰ أَبُو بَصْرَةَ الْغِفَارِيُّ، قَالَ: مِصْرُ خِزَانَةُ الْأَرْضِ كُلِّهَا، وَسُلْطَانُهَا سُلْطَانُ الْأَرْضِ كُلِّهَا(١).

قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: ٥٥].

وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْخَزَائِنُ بِغَيْرِ مِصْرَ، فَأَغَاثَ اللهُ بِمِصْرَ وَخَزَائِنِهَا كُلَّ حَاضِرٍ وَبَادٍ مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ.

وَجَعَلَهَا اللهُ تَعَالَىٰ **مُتَوَسَّطَةً فِي الدُّنْيَا**، وَهِيَ فِي الْإِقْلِيمِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ، فَسَلِمَتْ مِنْ حَرِّ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، وَمِنْ بَرْدِ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ وَالسَّابِعِ، فَطَابَ هَوَاؤُهَا، وَنَقِيَ جَوُّهَا، وَضَعُفَ حَرُّهَا، وَخَفَّ بَرْدُهَا، وَسَلِمَ أَهْلُهَا مِنْ مَشَاتِي الْجِبَالِ، وَمَصَائِفِ عُمَانَ، وَصَوَاعِقِ تِهَامَةَ، وَدَمَامِيلِ(٢) الْجَزِيرَةِ، وَجَرَبِ الْيَمَنِ، وَطَوَاعِينِ الشَّامِ، وَغِيلَانِ(٣) الْعِرَاقِ، وَعَقَارِبِ عَسْكَرِ

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ يُونُسَ فِي «تَارِيخِهِ» (١/ ٥١٧)، رَقْمَ ١٤٢٤، ط: الْعِلْمِيَّةِ.

(٢) **الدُّمَّلُ**: الْتِهَابٌ مَحْدُودٌ فِي الْجِلْدِ وَالنُّسُجِ الَّتِي تَحْتَهُ مَصْحُوبٌ بِتَقَيُّحٍ، وَيُجْمَعُ عَلَىٰ دَمَامِيلَ.

(٣) **الْغُولُ**: كُلُّ مَا أَخَذَ الْإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي فَأَهْلَكَهُ -وَالْجَمْعُ: أَغْوَالٌ وَغِيلَانٌ- =

مُكْرَمٍ، وَطَلَبِ الْبَحْرَيْنِ، وَحُمَّىٰ خَيْبَرَ، وَأَمِنُوا مِنْ غَارَاتِ التُّرْكِ، وَجُيُوشِ الرُّومِ وَطَوَائِفِ الْعَرَبِ، وَمَكَائِدِ الدَّيْلَمِ، وَسَرَايَا الْقَرَامِطَةِ، وَبُثُوقِ[1] الْأَنْهَارِ، وَقَحْطِ الْأَمْطَارِ، وَقَدِ اكْتَنَفَهَا مَعَادِنُ رِزْقِهَا؛ وَقَرُبَ تَصَرُّفُهَا، فَكَثُرَ خِصَبُهَا، وَرَغُدَ عَيْشُهَا، وَرَخُصَ سِعْرُهَا.

كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ السُّيُوطِيُّ فِي «حُسْنِ الْمُحَاضَرَةِ»[2].

وَذَكَرَ أَنَّ مِصْرَ مُصَوَّرَةٌ فِي كُتُبِ الْأَوَائِلِ، وَسَائِرُ الْمُدُنِ مَادَّةً أَيْدِيَهَا إِلَيْهَا تَسْتَطْعِمُهَا[3].

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: «وِلَايَةُ مِصْرَ جَامِعَةٌ، تَعْدِلُ الْخِلَافَةَ»[4].

وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ: أَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا مُضْطَرُّونَ إِلَىٰ مِصْرَ يُسَافِرُونَ إِلَيْهَا، وَيَطْلُبُونَ الرِّزْقَ بِهَا، وَأَهْلُهَا لَا يَطْلُبُونَ الرِّزْقَ فِي غَيْرِهَا، وَلَا يُسَافِرُونَ إِلَىٰ بَلَدٍ سِوَاهَا، حَتَّىٰ لَوْ ضُرِبَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بِلَادِ الدُّنْيَا لَغَنِيَ أَهْلُهَا بِمَا فِيهَا عَنْ سَائِرِ بِلَادِ الدُّنْيَا.

=

وَالْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ يَظْهَرُ لِلنَّاسِ فِي الْفَلَاةِ، فَيَتَلَوَّنُ لَهُمْ فِي صُوَرٍ شَتَّىٰ وَيَغُولُهُمْ؛ أَيْ: يُضَلِّلُهُمْ وَيُهْلِكُهُمْ.

(١) **بَثَقَ الْمَاءُ بُثُوقًا**: انْدَفَعَ فَجْأَةً، وَبَثَقَ النَّهْرَ وَنَحْوَهُ: كَسَرَ شَطَّهُ.

(٢) «حُسْنُ الْمُحَاضَرَةِ» (٢/ ٣٢٩، ٣٣٠)، ط: الْحَلَبِيِّ.

(٣) «حُسْنُ الْمُحَاضَرَةِ» (١/ ٢١).

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ فِي «فُتُوحِ مِصْرَ» (ص٢٢٠).

كَانَتْ كَذَلِكَ، وَسَتَكُونُ كَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّوَعَلَا، وَأَمَّا فَتْرَةُ ضَعْفٍ وَحَاجَةٍ، جَعَلَتِ الْمِصْرِيِّينَ يَضِيقُونَ بِبَلَدِهِمْ، وَيَلْتَمِسُونَ الرِّزْقَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ، فَهَذَا أَمْرٌ عَارِضٌ سَيَزُولُ إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّوَعَلَا.

وَقَالَ يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ: «جُلْتُ الْبِلَادَ فَمَا رَأَيْتُ الْوَرَعَ بِبَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ أَعْرِفُهُ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ وَبِمِصْرَ»(١).

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ: «كَانَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ يَقُولُ: لَوْلَا رَغْبَتِي فِي الشَّامِ لَسَكَنْتُ مِصْرَ؛ فَقِيلَ: وَلِمَ ذَلِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ؟!

قَالَ: إِنِّي لَأُحِبُّ مِصْرَ وَأَهْلَهَا؛ لِأَنَّهَا بَلْدَةٌ مُعَافَاةٌ مِنَ الْفِتَنِ، وَأَهْلُهَا أَهْلُ عَافِيَةٍ، فَهُمْ بِذَلِكَ يُعَافَوْنَ، وَمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ كَبَّهُ اللهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَهُوَ بَلَدٌ مُبَارَكٌ لِأَهْلِهِ فِيهِ»(٢).

وَرُوِيَ عَنْ شُفَيِّ بْنِ عُبَيْدٍ الْأَصْبَحِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: «مِصْرُ بَلْدَةٌ مُعَافَاةٌ مِنَ الْفِتَنِ لَا يُرِيدُهُمْ أَحَدٌ بِسُوءٍ إِلَّا صَرَعَهُ اللهُ، وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ هُلْكَهُمْ إِلَّا أَهْلَكَهُ اللهُ»(٣).

---

(١) «فَضَائِلُ مِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ» لِابْنِ الْكِنْدِيِّ (ص٢٨)، ط: الْخَانْجِي - مِصْرُ.

(٢) ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ تَغْرِي بَرْدِيٍّ فِي «النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ» (١/ ٣١)، وَالسُّيُوطِيُّ فِي «حُسْنِ الْمُحَاضَرَةِ» (١/ ٢١)، وَالْمَقْرِيزِيُّ فِي «الخُطَطِ» (١/ ٢٧)، وَالنُّوَيْرِيُّ فِي «نِهَايَةِ الْأَرَبِ» (١/ ٣٤٨)، دَارُ الْكُتُبِ وَالْوَثَائِقِ الْقَوْمِيَّةُ - الْقَاهِرَةُ، وَ«فَضَائِلُ مِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ» لِابْنِ الْكِنْدِيِّ (ص٢٩)، وَ«الْمَوَاعِظُ وَالِاعْتِبَارُ» لِلْمَقْرِيزِيِّ (١/ ٥١)، ط: الْعِلْمِيَّةِ، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(٣) «فَضَائِلُ مِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ» (ص٢٩).

وَذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ: «بَلَدُ مِصْرَ خِزَانَةُ اللهِ، فَمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ قَصَمَهُ اللهُ»(١).

وَقَالَ أَبُو الرَّبِيعِ السَّائِحُ: «نِعْمَ الْبَلَدُ مِصْرُ، يُحَجُّ مِنْهَا بِدِينَارَيْنِ، وَيُغْزَىٰ مِنْهَا بِدِرْهَمَيْنِ. يُرِيدُ الْحَجَّ فِي بَحْرِ الْقُلْزُمِ(٢)، وَالْغَزْوَ إِلَىٰ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَسَائِرِ سَوَاحِلِ مِصْرَ»(٣).

وَذَكَرَ يَحْيَىٰ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ: «جُلْتُ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ أَهْلَهَا، وَرَأَيْتُ آثَارَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُلُوكِ وَالْحُكَمَاءِ، وَرَأَيْتُ بِنَاءَ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ، وَرَأَيْتُ آثَارَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَتَدْمُرَ، وَالْأُرْدُنِّ، وَمَا بَنَتْهُ الشَّيَاطِينُ بِتَدْبِيرِ النُّبُوَّةِ، فَلَمْ أَرَ مِثْلَ بَرَابِي مِصْرَ عَلَىٰ حِكْمَتِهَا، وَلَا مِثْلَ الْآثَارِ الَّتِي بِهَا، وَالْأَبْنِيَةِ الَّتِي لِمُلُوكِهَا وَحُكَمَائِهَا»(٤).

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١]، وَالْمُرَادُ: مَنْبِتُهُمَا وَأَرْضُهُمَا، وَهِيَ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ الَّتِي هِيَ مَظْهَرُ الْمَسِيحِ.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢]، الْمُرَادُ: الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(١) «فَضَائِلُ مِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ» (ص٢٩).

(٢) **الْقُلْزُمُ**: مَدِينَةٌ عَلَىٰ سَاحِلِ بَحْرِ الْيَمَنِ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ يُنْسَبُ إِلَيْهَا الْبَحْرُ الْمُسَمَّىٰ الْيَوْمَ: الْبَحْرُ الْأَحْمَر.

(٣) «فَضَائِلُ مِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ» لِابْنِ الْكِنْدِيِّ (ص٢٩)، وَ«حُسْنُ الْمُحَاضَرَةِ» لِلسُّيُوطِيِّ (١/ ٢٢)، ط: الْحَلَبِيِّ.

(٤) «فَضَائِلُ مِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ» (ص٢٩)، ط: الْخَانْجِي - مِصْرُ.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، هِيَ: مَكَّةُ حَرَمُ اللهِ وَأَمْنُهُ؛ الَّتِي هِيَ مَظْهَرُ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «ذَكَرَ اللهُ هَذِهِ الْأَمَاكِنَ الثَّلَاثَةَ فِي سُورَةِ التِّينِ؛ فَـ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ الَّتِي بُعِثَ مِنْهَا الْمَسِيحُ، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ فِيهَا الْإِنْجِيلُ.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا، وَنَادَاهُ مِنْ وَادِيهِ الْأَيْمَنِ مِنَ الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِيهِ.

وَأَقْسَمَ بِـ﴿ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾، وَهُوَ: مَكَّةُ، الَّتِي أَسْكَنَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ فِيهِ، وَهُوَ فَارَان، وَلَمَّا كَانَ مَا فِي التَّوْرَاةِ خَبَرًا عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرَ بِهِ عَلَىٰ التَّرْتِيبِ الزَّمَانِيِّ، فَقَدَّمَ الْأَسْبَقَ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنَّهُ أَقْسَمَ بِهَا تَعْظِيمًا لِشَأْنِهَا، وَإِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ وَآيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، فَأَقْسَمَ بِهَا عَلَىٰ وَجْهِ التَّدْرِيجِ دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ، فَبَدَأَ بِالْعَالِي، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَىٰ أَعْلَىٰ مِنْهُ، ثُمَّ إِلَىٰ أَعْلَىٰ مِنْهُمَا، فَإِنَّ أَشْرَفَ الْكُتُبِ الْقُرْآنُ، ثُمَّ التَّوْرَاةُ، ثُمَّ الْإِنْجِيلُ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-»(١).

قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١١- ١٢].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَلَمَّا أَتَىٰ النَّارَ مُوسَىٰ نَادَاهُ رَبُّهُ:

---

(١) «هِدَايَةُ الْحَيَارَىٰ» (ص١١٤).

﴿يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١١- ١٢]. فَخَلَعَهَا فَأَلْقَاهَا.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَمَرَ اللهُ مُوسَىٰ بِخَلْعِ نَعْلَيْهِ.

وَأَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: أَمَرَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِخَلْعِ نَعْلَيْهِ لِيُبَاشِرَ بِقَدَمَيْهِ بَرَكَةَ الْوَادِي؛ إِذْ كَانَ وَادِيًا مُقَدَّسًا»(١).

قَالَ الْحَسَنُ: «إِنَّمَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُبَاشِرَ بِقَدَمَيْهِ بَرَكَةَ الْأَرْضِ، وَكَانَ قَدْ قُدِّسَ مَرَّتَيْنِ(٢)، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ(٣)، وَرَجَّحَ الطَّبَرِيُّ أَنَّ (طُوًىٰ) اسْمٌ لِلْوَادِي»(٤).

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ: سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ، وَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ**»(٥).

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ(٦) مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَىٰ هَذِهِ(٧)، فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ**

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (١٨/ ٢٧٧ – ٢٧٩)، ت: شَاكِر.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٨/ ٢٧٩).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٨/ ٢٧٩، ٢٨٠).

(٤) «تَفْسِيرُهُ» (١٨/ ٢٨٢)، ت: شَاكِر.

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٨٣٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٦) أَيْ: شَقَّ.

(٧) أَيْ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَىٰ سُرَّتِهِ.

إِيمَانًا، فَغَسَلَ قَلْبِي بِمَاءِ زَمْزَمٍ، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ، يُقَالُ لَهُ: (الْبُرَاقُ).

ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ؛ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، قُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟!

قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فُجِّرَتْ أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ مِنَ الْجَنَّةِ: الْفُرَاتُ وَالنِّيلُ، وَسَيْحَانُ وَجَيْحَانُ**»(٢). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَقَالَ الْمُنَاوِيُّ: «**مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ**»؛ أَيْ: هِيَ لِعُذُوبَةِ مَائِهَا وَكَثْرَةِ مَنَافِعِهَا وَهَضْمِهَا وَتَضَمُّنِهَا لِمَزِيدِ الْبَرَكَةِ وَتَشَرُّفِهَا بِوُرُودِ الْأَنْبِيَاءِ وَشُرْبِهِمْ مِنْهَا؛ كَأَنَّهَا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، أَوْ أَنَّهُ سَمَّىٰ الْأَنْهَارَ الَّتِي هِيَ أُصُولُ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ بِتِلْكَ الْأَسَامِي لِيُعْلَمَ أَنَّهَا فِي الْجَنَّةِ بِمَثَابَةِ الْأَنْهَارِ الْأَرْبَعَةِ فِي الدُّنْيَا، أَوْ أَنَّهَا مُسَمَّيَاتٌ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ فَوَقَعَ الِاشْتِرَاكُ فِيهَا.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٨٧)، وَمُسْلِمٌ (١٦٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٧٥٤٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ، وَحَسَّنَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١١١).

ثُمَّ خَرَجَ مِنَ التَّأْوِيلِ إِلَىٰ الْأَخْذِ بِالظَّاهِرِ عَلَىٰ الْأَصْلِ، فَقَالَ: أَوْ هُوَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَلَهَا مَادَّةٌ مِنَ الْجَنَّةِ»(١)، وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ، وَلَا يُعْدَلُ عَنِ الظَّاهِرِ بِحَالٍ.

فَنِيلُهَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ النِّيلَ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ**».

قَالَ الشَّاعِرُ فِي نِيلِهَا:

مِنْ أَيِّ عَهْدٍ فِي الْقُرَىٰ تَتَدَفَّقُ؟
وَبِأَيِّ كَفٍّ فِي المَدائِنِ تُغْدِقُ؟(٢)
وَمِنَ السَّماءِ نَزَلْتَ أَمْ فُجِّرْتَ مِنْ
عَلْيَا الْجِنَانِ جَدَاوِلًا تَتَرَقْرَقُ؟
وَبِأَيِّ عَيْنٍ أَمْ بِأَيَّةِ مُزْنَةٍ
أَمْ أَيِّ طُوفَانٍ تَفِيضُ وَتَفْهَقُ؟(٣)
وَبِأَيِّ نَوْلٍ أَنتَ ناسِجُ بُرْدَةٍ
لِلضِّفَّتَينِ جَدِيدُهَا لَا يَخْلَقُ؟(٤)

---

(١) «فَيْضُ الْقَدِيرِ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ» (٤/ ١١٨)، رَقْمَ ٤٧٣٧، الْمَكْتَبَةُ التِّجَارِيَّةُ الْكُبْرَىٰ - مِصْرُ.

(٢) **تُغْدِقُ**: تُفِيضُ وَتُكْثِرُ فِي الْعَطَاءِ.

(٣) **مُزْنَةٌ**: هِيَ السَّحَابَةُ الْمُمْطِرَةُ.

تَفْهَقُ: فَهَقَ الْإِنَاءُ؛ أَيْ: امْتَلَأَ حَتَّىٰ صَارَ يَتَصَبَّبُ.

(٤) **النَّوْلُ**: خَشَبَةُ الْحَائِكِ يُنْسَجُ عَلَيْهَا.

تَسْـــــوَدُّ دِيبَاجًـــــا إِذَا فَارَقْتَهَـــــا
فَـــإِذَا حَضَـــرْتَ اخْضَوْضَـــرَ الْإِسْـــتَبْرَقُ(١)
تَـــابُوتُ مُوسَـــىٰ لَا تَـــزَالُ جَلَالَـــةٌ
تَبْـــدُو عَلَيْـــكَ لَـــهُ وَرَيَّـــا تُنْشَـــقُ(٢)
وَجَمَـــالُ يُوسُـــفَ لَا يَـــزَالُ لِـــوَاؤُهُ
حَوْلَيْـــكَ فِـــي أُفْـــقِ الْجَـــلَالِ يُرَنِّـــقُ(٣)
وَدُمُـــوعُ إِخْوَتِـــهِ رَسَـــائِلُ تَوْبَـــةٍ
مَسْـــطُورُهُنَّ بِشَـــاطِئَيْكَ مُنَمَّـــقُ
وَصَـــلَاةُ مَـــرْيَمَ فَـــوْقَ زَرْعِـــكَ لَـــمْ يَـــزَلْ
يَزْكُـــو لِـــذِكْرَاهَا النَّبَـــاتَ وَيَسْـــمُقُ(٤)
وَخُطَـــىٰ الْمَسِـــيحِ عَلَيْـــكَ رُوحًـــا طَـــاهِرًا
بَرَكَـــاتُ رَبِّـــكَ وَالنَّعِـــيمُ الْغَيْـــدَقُ(٥)
وَوَدَائِـــعُ الْفَـــارُوقِ عِنْـــدَكَ دِينُـــهُ
وَلِـــوَاؤُهُ وَبَيَانُـــهُ وَالْمَنْطِـــقُ(٦)

---

(١) **الإِسْتَبْرَقُ**: الْحَرِيرُ.
(٢) **تُنْشَقُ**: تُشَمُّ.
(٣) **يُرَنِّقُ**: يَخْفُقُ وَيَتَحَرَّكُ.
(٤) **يَسْمُقُ**: سَمَقَ النَّبَاتُ؛ أَيْ: طَالَ وَعَلَا.
(٥) **الْغَيْدَقُ**: مِنْ غَدَقَ الْمَطَرُ: كَثُرَ.
(٦) **الْفَارُوقُ**: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

بَعَـثَ الصَّـحَابَةَ يَحْمِلُـونَ مِـنَ الْهُـدَىٰ
وَالْحَـقِّ مَـا يُحْيِـي الْعُقُـولَ وَيَفْتُـقُ

فَـتْحُ الْفُتُـوحِ مِـنَ الْمَلَائِـكِ رَزْدَقٌ
فِيـهِ وَمِـنْ أَصْـحَابِ بَـدْرٍ رَزْدَقُ[١]

يَبْنُـونَ لِلَّـهِ الْكِنَانَـةَ بِالْقَنَـا
وَاللهُ مِـنْ حَـوْلِ الْبِنَـاءِ مُوَفِّـقُ

أَحْـلَاسُ خَيْـلٍ بَيْـدَ أَنَّ حُسَـامَهُمْ
فِـي السِّـلْمِ مِـنْ حَـذَرِ الْحَـوَادِثِ مُقْلَـقُ[٢]

تُطْـوَىٰ الْـبِلَادُ لَهُـمْ وَيُنْجِـدُ جَيْشُـهُمْ
جَـيْشٌ مِـنَ الْأَخْـلَاقِ غَـازٍ مُـورِقُ[٣]

فِـي الْحَـقِّ سُـلَّ، وَفِيـهِ أُغْمِـدَ سَـيْفُهُمْ
سَـيْفُ الْكَـرِيمِ مِـنَ الْجَهَالَـةِ يَفْـرَقُ[٤]

مَـا كَانَـتِ الْفُسْـطَاطُ إِلَّا حَائِطًـا
يَـأْوِي الضَّـعِيفُ لِرُكْنِـهِ وَالْمُرْهَـقُ[٥]

---

(١) **الرَّزْدَقُ**: الصَّفُّ مِنَ النَّاسِ.

(٢) **أَحْلَاسُ خَيْلٍ**: أَيْ مُلَازِمُونَ ظُهُورَهَا، كِنَايَةً عَنْ حُبِّهِمْ لِلْجِهَادِ.

(٣) **مُورِقُ**: هُوَ هُنَا بِمَعْنَىٰ غَانِمٍ.

(٤) **يَفْرَقُ**: يَحْذَرُ.

(٥) **الْمُرْهَقُ**: الَّذِي كُلِّفَ بِمَا لَا يَسْتَطِيعُ وَلَا يُطِيقُ.

وَبِـهِ تَلُـوذُ الطَّيْـرُ فِـي طَلَـبِ الْكَـرَىٰ
وَيَبِيـتُ قَيْصَـرُ وَهْـوَ مِنْـهُ مُـؤَرَّقُ

عَمْـرٌو عَلَـىٰ شَـطْبِ الْحَصِـيرِ مُعَصَّـبٌ
بِقِـلَادَةِ اللهِ الْعَلِـيِّ مُطَـوَّقُ

إِنَّهَا مِصْرُ.. الَّتِي لَا يَعْرِفُ قَدْرَهَا الْمُنْحَرِفُونَ الْخَوَنَةُ مِنْ أَبْنَائِهَا، وَيَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْخَيْرَ لَهَا، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ بَيْعَهَا بَيْعًا رَخِيصًا فِي مَزَادَاتِ أَوْلَادِ الْخَنَا.

إِنَّهَا مِصْرُ.. الَّتِي يُفَرِّطُ فِيهَا ضُلَّالُ أَبْنَائِهَا مِمَّنْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَنْتَمُونَ إِلَىٰ الدِّينِ الْحَنِيفِ، وَبِاسْمِ الدِّينِ الْحَنِيفِ، وَهُوَ مِنْهُمْ بَرِيءٌ؛ يُرِيدُونَ الْفَوْضَىٰ فِيهَا، يُرِيدُونَ هَتْكَ الْأَعْرَاضِ، وَسَبْيَ النِّسَاءِ، وَاسْتِلَالَ الثَّرْوَاتِ، وَإِزْهَاقَ الْأَرْوَاحِ، وَسَفْكَ الدِّمَاءِ، فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُعَامِلَهُمْ بِعَدْلِهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مِصْرُ بَيْنَ مَطَامِعِ الْأَعْدَاءِ وَجُحُودِ الْأَبْنَاءِ»، الْجُمُعَة ١٦ مِنْ رَمَضَان ١٤٣٦هـ| ٣-٧-٢٠١٥م.

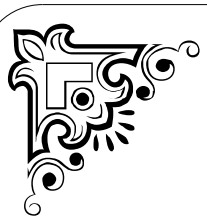

دَوْرُ مِصْرَ فِي بِنَاءِ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ

لَقَدْ كَانَ لِمِصْرَ نَصِيبٌ كَبِيرٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ الَّتِي أَسْهَمَتْ فِي تَرْقِيَةِ الْحَيَاةِ؛ فَآبَاءُ العِلْمِ فِي جَمِيعِ فُرُوعِ المَعْرِفَةِ مِنَّا نَحْنُ(*)؛ **فَالْإِمَامُ الْقَرَافِيُّ الْمَالِكِيُّ** إِمَامٌ أُصُولِيٌّ فَقِيهٌ مِنْ أَعْظَمِ الْأَئِمَّةِ(٢)، وَمِنْ أَعْظَمِ الْفُقَهَاءِ فِي مَذْهَبِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «الدَّعْوَةُ إِلَىٰ الْعَامِّيَّةِ» - الْجُمُعَةُ ٨ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٥هـ| ٢٢-١٠-٢٠٠٤م.

(٢) أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي: من علماء المالكية نسبته إلىٰ قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب) وإلىٰ القرافة (المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعيّ) بالقاهرة. وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة. له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها (أنوار البروق في أنواء الفروق - ط) أربعة أجزاء، و (الإحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام - ط) و(الذخيرة - خ) في فقه المالكية، ست مجلدات، و (اليواقيت في أحكام المواقيت - خ) في الرباط (١٦٠ ك) انظر المنوني (الرقم ٣٦٢) و (شرح تنقيح الفصول - ط) في الأصول و (مختصر تنقيح الفصول - ط) و (الخصائص - خ) في قواعد العربية، و (الأجوبة الفاخرة في الرد علىٰ الأسئلة الفاجرة - ط) (١) قلت: وكان مع تبحره في عدة فنون، من البارعين في الآلات الفلكية وغيرها، نقل عن كتابه (شرح المحصول) قوله: بلغني أن الملك الكامل وضع له شمعدان كلما مضىٰ من الليل ساعة انفتح باب منه، =

مِالِكٍ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْعُلَمَاءِ عَلَىٰ مَدَارِ تَارِيخِ هَذِهِ الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ، وَلَيْسَ فِي الْمَسَائِلِ النَّظَرِيَّةِ، وَهَذَا الرَّجُلُ صَنَعَ أَمْرًا غَرِيبًا.. صَنعَ صَنِيعًا بَدِيعًا عَجِيبًا؛ صَنَعَ آلَةً لَهَا شُرُفَاتٌ مِنْ أَعْلَىٰ، وَهَذِهِ الشُّرُفَاتُ تَدُورُ مَعَ دَوَرانِ الْآلَةِ عَلَىٰ مِحْوَرٍ بِطَرِيقَةٍ مَا صَمَّمَهَا هُوَ، وَوَضَعَ أُصُولَهَا وَنَظَرِيَّاتِهَا، وَقَامَ عَلَىٰ أَسَاسِهَا هَذَا الِاخْتِرَاعُ الَّذِي اخْتَرَعَهُ؛ بِحَيْثُ أَنَّهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ أَنْوَارٌ مُختَلِفَاتٌ فِي اثْنَيْ عَشَرَ مَنْفَذًا، تُفْتَحُ شُرْفَتَانِ مِنْ كُلِّ مَنْفَذٍ بِضَوْءٍ مُعَيَّنٍ، وَيَخرُجُ مِنْهَا دِيكٌ يُعْلِنُ عَنِ السَّاعَةِ.

فَهَذِهِ سَاعَةٌ مُتَحَرِّكَةٌ صَنَعَهَا الرَّجُلُ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ-؛ وَلَكِنْ يَقُولُ -مَعَ الْأَسَىٰ وَالْأَسَفِ-: وَلَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَجْعَلَ الدِّيكَ يَصِيحُ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ-!

وَهُوَ فَقِيهٌ أُصُولِيٌّ نَظَّارٌ لَا عَلَاقَةَ لَهُ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ!

هَذِهِ تُسَمَّىٰ عِنْدَ الْعَرَبِ الْمُتَقَدِّمِينَ (الْحِيَلُ الْمِيكَانِيكِيَّةُ).

وَعُلَمَاءُ عَرَبٌ مُسْلِمُونَ عَاشُوا فِي مِصْرَ أَثْرَوُا الْحَضَارَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ بِعُلُومِهِمْ

=

وخرج منه شخص يقف في خدمة الملك، فإذا انقضت عشر ساعات طلع الشخص علىٰ أعلىٰ الشمعدان، وقال: صبح الله السلطان بالسعادة. فيعلم أن الفجر قد طلع. قال: وعملت أنا هذا الشمعدان، وزدت فيه أن الشمعة يتغير لونها في كل ساعة، وفيه أسد تتغير عيناه من السواد الشديد إلىٰ البياض الشديد إلىٰ الحمرة الشديدة، في كل ساعة لها لون، فإذا طلع الفجر طلع شخص علىٰ أعلىٰ الشمعدان، وإصبعه في أذنه يشير إلىٰ الأذان، غير أني عجزت عن صنعة الكلام). «الأعلام» للزركلي (ص: ٩٤-٩٥).

وَمُخْتَرَعَاتِهِمْ؛ فَالَّذِي اكْتَشَفَ الدَّوْرَةَ الدَّمَوِيَّةَ (ابْنُ النَّفِيسِ)، وَالَّذِي سَرَقَهَا (وِلْيَام هَارْفِي)، سَرَقَهَا سَرِقَةً قَبِيحَةً.

وَكَذَلِكَ مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ (ابْنُ الْهَيْثَمِ) فِي مَسْأَلَةِ الْبَصَرِيَّاتِ مَا زَالَ تُرَاثًا إِلَىٰ الْيَومِ مُعْجِبًا جِدًّا، وَقَائمًا عَلَىٰ أُصُولٍ عِلْمِيَّةٍ أَسَاسِيَّةٍ لَا تَخْتَلُّ.(*).

مِنَ الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ عَلَى مُشَارَكَةِ مِصْرَ فِي الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ خَاصَّةً، وَالْإِنْسَانِيَّةِ عَامَّةً فِي الْقُرُونِ الْمُتَأَخِّرَةِ: انْبِعَاثُ رِجَالٍ فِي غَمْرَةِ غَفْوَةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ - جُلُّهُمْ كَانُوا فِي مِصْرَ -، مُحَاوِلِينَ بَعْثَ الْأُمَّةِ حَضَارِيًّا مِنْ جَدِيدٍ؛ بَلْ إِنَّ حَضَارَةَ الْغَرْبِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ اتَّكَأَتْ عَلَى عُلُومِ هَؤُلَاءِ، مِنْ أَهَمِّهِمْ وَأَكْثَرِهِمْ تَأْثِيرًا: الْجَبَرْتِيُّ الْكَبِيرُ الْمِصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَغَيْرُهُ، انْبَعَثُوا يُحَاوِلُونَ إِيقَاظَ الْجَمَاهِيرِ الْمُسْتَغْرِقَةِ فِي غَفْوَتِهَا، رِجَالٌ عِظَامٌ أَحَسُّوا بِالْخَطَرِ الْمُبْهَمِ الْمُحْدِقِ بِأُمَّتِهِمْ، فَهَبُّوا بِلَا تَوَاطُؤٍ بَيْنَهُمْ، كَانُوا رِجَالًا أَيْقَاظًا مُفَرَّقِينَ فِي جَنَبَاتِ أَرْضٍ مُتَرَامِيَةِ الْأَطْرَافِ، مُتَبَاعِدَةٌ أَوْطَانُهُمْ، لَا يَجْمَعُهُمْ إِلَّا هَذَا الَّذِي تَوَجَّسُوهُ فِي قَرَارَةِ أَنْفُسِهِمْ مُبْهَمًا مِنْ خَطَرٍ مُحْدِقٍ، أَحَسُّوا الْخَطَرَ فَرَامُوا إِصْلَاحَ الْخَلَلِ الْوَاقِعِ فِي حَيَاةِ دَارِ الْإِسْلَامِ؛ خَلَلِ اللُّغَةِ، وَخَلَلِ الْعَقِيدَةِ، وَخَلَلِ عُلُومِ الدِّينِ، وَخَلَلِ عُلُومِ الْحَضَارَةِ.

وَبِأَنَاةٍ وَصَبْرٍ عَمِلُوا، وَأَلَّفُوا، وَعَلَّمُوا تَلَامِيذَهُمْ، وَبِهِمَّةٍ وَجِدٍّ أَرَادُوا أَنْ يُدْخِلُوا الْأُمَّةَ فِي عَصْرِ النَّهْضَةِ -نَهْضَةِ دَارِ الْإِسْلَامِ- مِنَ الْوَسَنِ وَالنَّوْمِ وَالْجَهَالَةِ وَالْغَفْلَةِ عَنْ إِرْثِ أَسْلَافِهِمُ الْعِظَامِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «الدَّعْوَةُ إِلَىٰ الْعَامِّيَّةِ» - الْجُمُعَةُ ٨ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٥هـ| ٢٢-١٠-٢٠٠٤م.

مِنْ هَؤُلَاءِ: خَمْسَةٌ مِنَ الْأَعْلَامِ أَذْكُرُهُمْ لَكَ هُنَا مُجَرَّدَ ذِكْرٍ بِاخْتِصَارٍ:

١ - الْبَغْدَادِيُّ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ عُمَرَ، صَاحِبُ «خِزَانَةِ الْأَدَبِ» (١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ/ ١٦٢٠ - ١٦٨٣م) وُلِدَ **فِي مِصْرَ** رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ - الْجَبَرْتِيُّ الْكَبِيرُ حَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجَبَرْتِيُّ الْعَقِيْلِيُّ (١١١٠ - ١١٨٨هـ/ ١٦٩٨ - ١٧٧٤م) **فِي مِصْرَ**، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْهُ بَعْدَ قَلِيلٍ.

٣ - ابْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ النَّجْدِيُّ (١١١٥ - ١٢٠٦هـ/ ١٧٠٣ - ١٧٩٢م) فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ.

٤ - الْمُرْتَضَىٰ الزَّبِيدِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْحُسَيْنِيُّ، صَاحِبُ «تَاجُ الْعَرُوسِ» (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ/ ١٧٧٢ - ١٧٩٠م) فِي الْهِنْدِ، **وَفِي مِصْرَ**.

٥ - الشَّوْكَانِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَوْلَانِيُّ الزَّيْدِيُّ (١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ/ ١٧٦٠ - ١٨٣٤م) فِي الْيَمَنِ.

وَإِذَا أَنْعَمْتَ النَّظَرَ فِي هَذِهِ التَّوَارِيخِ؛ عَلِمْتَ أَنَّ عَصْرَ النَّهْضَةِ عِنْدَنَا وَاقِعٌ بَيْنَ مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الْحَادِيَ عَشَرَ الْهِجْرِيِّ إِلَىٰ مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الثَّانِيَ عَشَرَ، وَيُقَابِلُهُ مُنْتَصَفُ الْقَرْنِ السَّابِعَ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ إِلَىٰ أَوَائِلِ الْقَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ.

هَبَّ الْبَغْدَادِيُّ فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الْحَادِيَ عَشَرَ الْهِجْرِيِّ -السَّابِعَ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ-، فَأَلَّفَ مَا أَلَّفَ لِيَرُدَّ عَلَىٰ الْأُمَّةِ قُدْرَتَهَا عَلَىٰ التَّذَوُّقِ -تَذَوُّقِ اللُّغَةِ وَالشِّعْرِ وَالْأَدَبِ وَعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ-.

وَهَبَّ ابْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ يُكَافِحُ الْبِدَعَ وَالْعَقَائِدَ الَّتِي تُخَالِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ مِنْ صَفَاءِ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ رُكْنُ الْإِسْلَامِ الْأَكْبَرُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِتَأْلِيفِ الْكُتُبِ، بَلْ نَزَلَ إِلَىٰ عَامَّةِ النَّاسِ فِي بِلَادِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَحْدَثَ رَجَّةً هَائِلَةً فِي قَلْبِ دَارِ الْإِسْلَامِ.

وَهَبَّ الْمُرْتَضَىٰ الزَّبِيدِيُّ يَبْعَثُ التُّرَاثَ اللُّغَوِيَّ وَالدِّينِيَّ، وَعُلُومَ الْعَرَبِيَّةِ، وَعُلُومَ الْإِسْلَامِ، وَيُحْيِي مَا كَانَ يَخْفَىٰ عَلَىٰ النَّاسِ بِمُؤَلَّفَاتِهِ وَمَجَالِسِهِ.

وَهَبَّ الشَّوْكَانِيُّ الزَّيْدِيُّ مُحْيِيًا عَقِيدَةَ السَّلَفِ، وَحَرَّمَ التَّقْلِيدَ فِي الدِّينِ، وَحَطَّمَ الْفُرْقَةَ وَالتَّنَابُذَ الَّذِي أَدَّىٰ إِلَيْهِ اخْتِلَافُ الْفِرَقِ بِالْعَصَبِيَّةِ.

أَمَّا خَامِسُهُمْ -وَهُوَ الْجَبَرْتِيُّ الْكَبِيرُ-؛ فَكَانَ فَقِيهًا كَبِيرًا نَابِهًا عَالِمًا بِاللُّغَةِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ، وَتَصَدَّرَ إِمَامًا مُفْتِيًا وَهُوَ فِي الرَّابِعَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ عُمُرِهِ؛ وَلَكِنَّهُ فِي سَنَةِ (١١٤٤هـ/ ١٧٣١م) وَلَّىٰ وَجْهَهُ شَطْرَ الْعُلُومِ الَّتِي كَانَتْ تُرَاثًا مُسْتَغْلَقًا عَلَىٰ أَهْلِ زَمَانِهِ، فَجَمَعَ كُتُبَهَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَحَرَصَ عَلَىٰ لِقَاءِ مَنْ يَعْلَمُ سِرَّ أَلْفَاظِهَا وَرُمُوزَهَا -أَيْ: وَيَعْلَمُ رُمُوزَهَا-، وَقَضَىٰ فِي ذَلِكَ عَشْرَ سَنَوَاتٍ مِنْ سَنَةِ (١١٤٤هـ - ١١٥٤هـ)، **حَتَّىٰ مَلَكَ نَاصِيَةَ الرُّمُوزِ كُلِّهَا فِي الْهَنْدَسَةِ، وَالْكِيمْيَاءِ، وَالْفَلَكِ، وَالصَّنَائِعِ الْحضَارِيَّةِ كُلِّهَا؛ حَتَّىٰ النِّجَارَةِ، وَالْخِرَاطَةِ، وَالْحِدَادَةِ، وَالسَّمْكَرَةِ، وَالتَّجْلِيدِ، وَالنَّقْشِ، وَالْمَوَازِينِ.**

وَصَارَ بَيْتُهُ زَاخِرًا بِكُلِّ أَدَاةٍ فِي صِنَاعَةٍ وَكُلِّ آلَةٍ، وَصَارَ إِمَامًا عَالِمًا -أَيْضًا- فِي أَكْثَرِ الصِّنَاعَاتِ، وَلَجَأَ إِلَيْهِ مَهَرَةُ الصُّنَّاعِ فِي كُلِّ صِنَاعَةٍ يَسْتَفِيدُونَ مِنْ عِلْمِهِ، وَمَارَسَ كُلَّ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ، وَعَلَّمَ وَأَفَادَ حَتَّىٰ عَلَّمَ خَدَمَهُ فِي بَيْتِهِ.

وَيَقُولُ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْجَبَرْتِيُّ الْمُؤَرِّخُ: «وَحَضَرَ إِلَيْهِ طُلَّابٌ مِنَ الْإِفْرِنْجِ، وَقَرَأُوا عَلَيْهِ عِلْمَ الْهَنْدَسَةِ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ (١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م)، وَأَهْدَوْا إِلَيْهِ مِنْ صَنَائِعِهِمْ وَآلَاتِهِمْ أَشْيَاءَ نَفِيسَةً، **وَذَهَبُوا إِلَىٰ بِلَادِهِمْ وَنَشَرُوا بِهَا الْعِلْمَ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ،** وَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَىٰ الْفِعْلِ، وَاسْتَخْرَجُوا بِهِ الصَّنَائِعَ الْبَدِيعَةَ؛ مِثْلَ طَوَاحِينِ الْهَوَاءِ، وَجَرِّ الْأَثْقَالِ، وَاسْتِنْبَاطِ الْمِيَاهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَهَؤُلَاءِ الْإِفْرِنْجِ هُمُ الْمُسْتَشْرِقُونَ الَّذِينَ اتَّصَلُوا بِالْعِلْمِ الْحَيِّ عِنْدَ عُلَمَاءِ دَارِ الْإِسْلَامِ؛ لِحَلِّ رُمُوزِ الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَالْجَبَرْتِيُّ الْكَبِيرُ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ عَلَىٰ خُلُقِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَضِنَّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْإِفْرِنْجِ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ، وَلَا أَسَاءَ بِهِمُ الظَّنَّ، بَلْ عَمِلَ بِمَا أَدَّبَهُ بِهِ نَبِيُّهُ ﷺ؛ إِذْ يَقُولُ: «**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**»(١)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» فِي مَوَاضِعَ مُخْتَلِفَةٍ.

هَذَا طَرَفٌ لَا يُجْزِئُ عَنِ النَّهْضَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ فِي الْقَرْنَيْنِ الْحَادِيَ عَشَرَ وَالثَّانِيَ عَشَرَ الْهِجْرِيِّ، السَّابِعَ عَشَرَ وَالثَّامِنَ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ.

دَوَّتْ أَسْمَاءُ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ فِي أَرْجَاءِ دَارِ الْإِسْلَامِ وَأَشْتَاتٍ غَيْرِهِمْ؛

---

(١) أخرجه أحمد (١٣/ ١٨، رقم ٧٥٧١)، وأبو داود (٣٦٥٨)، وابن ماجه (٢٦٤) وغيرهم وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٦٠).

مُؤْذِنَةً بِيَقَظَةٍ جَدِيدَةٍ وَإِحْيَاءٍ لِعِلْمِ الْأُمَّةِ وَلُغَتِهَا وَثَقَافَتِهَا، وَاسْتِعَادَةٍ لِسَيْطَرَةِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ أَسْبَابِ حَضَارَتِهَا الزَّاهِرَةِ الْقَدِيمَةِ، وَإِرَادَةٍ لِبَعْثِهَا بَعْثًا جَدِيدًا دُونَ شُعُورٍ وَاضِحٍ أَوْ عِلْمٍ مُسْتَبِينٍ بِالَّذِي كَانَ يَجْرِي فِي دِيَارِ النَّصْرَانِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ يَقَظَةٍ وَنَهْضَةٍ وَبَعْثٍ جَدِيدٍ.

وَنَصِيحَةٌ وَتَنْبِيهٌ: لَا تَنْظُرْ إِلَىٰ الْفَرْقِ الْهَائِلِ الْكَائِنِ الْيَوْمَ بَيْنَ الشَّمَالِ النَّصْرَانِيِّ وَالْجَنُوبِ الْإِسْلَامِيِّ؛ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ضَلِلْتَ عَنِ الْحَقِيقَةِ.

وَالْحَقِيقَةُ يَوْمَئِذٍ أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ كَانَ خُطْوَةً وَاحِدَةً تُسْتَدْرَكُ بِالْهِمَّةِ، وَالصَّبْرِ، وَالدَّأَبِ، وَالتَّصْمِيمِ، لَا أَكْثَرَ؛ بَلْ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ **فَإِنَّ الْيَقَظَةَ الْأُورُوبِّيَّةَ كَانَتْ بَعْدُ فِي أَوَّلِ الطَّرِيقِ، وَتَتَّكِئُ اتِّكَاءً شَدِيدًا عَلَىٰ مَا كَانَ عِنْدَنَا مِنَ الْعِلْمِ الْمَسْطُورِ فِي كُتُبِنَا بِرُمُوزِهِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَىٰ اسْتِبَانَةٍ وَفَهْمٍ، وَعَلَىٰ الْعِلْمِ الْحَيِّ الَّذِي عِنْدَ أَهْلِ دَارِ الْإِسْلَامِ**، كَمَا حَدَّثَكَ الْجَبَرْتِيُّ الْمُؤَرِّخُ عَنْ أَبِيهِ الْفَقِيهِ الْجَلِيلِ الْجَبَرْتِيِّ الْكَبِيرِ، وَقِرَاءَةِ الْمُسْتَشْرِقِينَ عَلَيْهِ؛ لِيَهْتَدُوا بِهِ اهْتِدَاءً مَا إِلَىٰ حَلِّ هَذِهِ الرُّمُوزِ وَاسْتِبَانَتِهَا وَفَهْمِهَا.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ: «رِسَالَةٌ فِي الطَّرِيقِ إِلَىٰ ثَقَافَتِنَا» - الثُّلَاثَاءُ ١٧ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٢هـ| ٢٢-٣-٢٠١١م.

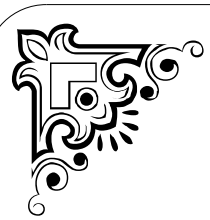

مِصْرُ مَلَاذُ الْعَالَمِ فِي الْأَزْمَاتِ عَبْرَ التَّارِيخِ

إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي التَّارِيخِ الْإِنْسَانِيِّ يُدْرِكُ أَنَّ مِصْرَ كَانَتْ مَلَاذًا لِلْعَالَمِ فِي الْأَخْطَارِ وَالْمَجَاعَاتِ؛ فَقَدْ وَضَعَ نَبِيُّ اللهِ يُوسُفُ عليه السلام خُطَّةً لِلْإِنْقَاذِ مِنْ مَجَاعَةٍ أَحَاطَتْ بِالْعَدِيدِ مِنْ دُوَلِ الْجِوَارِ آنَذَاكَ، وَازَنَ فِيهَا بَيْنَ التَّخْطِيطِ السَّدِيدِ، وَالْعَمَلِ الدَّؤُوبِ، وَالْإِنْتَاجِ الْمُتْقَنِ، وَالِاسْتِهْلَاكِ الرَّشِيدِ، وَالِادِّخَارِ الْمُحْكَمِ، فَتَحَقَّقَ لِلْبِلَادِ الرَّخَاءُ وَالِازْدِهَارُ، وَالْقُوَّةُ الْحَضَارِيَّةُ وَالِاقْتِصَادِيَّةُ، وَوَفَدَ النَّاسُ إِلَى مِصْرَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ؛ لِيَنَالُوا مِنْ خَيْرَاتِهَا.

وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِتِلْكَ الْقِصَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: ٤٣-٤٩].

وَقَالَ مَلِكُ مِصْرَ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ، وَسَبْعَ بَقَرَاتٍ فِي غَايَةِ الْهُزَالِ، فَابْتَلَعَتِ الْعِجَافُ السِّمَانَ، وَدَخَلْنَ فِي بُطُونِهِنَّ، وَلَمْ يُرَ مِنْهُنَّ شَيْءٌ، وَلَمْ يَتَبَيَّنْ عَلَىٰ الْهَزِيلَاتِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَرَأَيْتُ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ قَدِ انْعَقَدَ حَبُّهَا، وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ أُخَرَ يَابِسَاتٍ قَدِ اسْتُحْصِدَتْ، فَالْتَوَتِ الْيَابِسَاتُ عَلَىٰ الْخُضْرِ حَتَّىٰ عَلَوْنَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ قُدْرَتِهَا شَيْءٌ.

يَا أَيُّهَا السَّادَةُ وَالْكُبَرَاءُ! يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ! أَخْبِرُونِي بِتَأْوِيلِ رُؤْيَايَ الْخَطِيرَةِ، وَعَبِّرُوهَا لِي، وَاذْكُرُوا بُعْدَهَا الْوَاقِعِيَّ فِي هَذَا الْكَوْنِ إِنْ كُنْتُمْ تُحْسِنُونَ عِلْمَ الْعِبَارَةِ وَتَفْسِيرَ رُمُوزِ الْأَحْلَامِ.

قَالَ الْمَلَأُ مِنَ السَّحَرَةِ وَالْكَهَنَةِ وَالْمُعَبِّرِينَ مُجِيبِينَ الْمَلِكَ: رُؤْيَاكَ هَذِهِ أَخْلَاطٌ مُشْتَبِهَةٌ، وَمَنَامَاتٌ مُتَدَاخِلَةٌ بَاطِلَةٌ، وَمَا نَحْنُ بِتَفْسِيرِ الْمَنَامَاتِ بِعَالِمِينَ.

وَقَالَ السَّاقِي الَّذِي نَجَا مِنَ الْقَتْلِ بَعْدَ هَلَاكِ صَاحِبِهِ الْخَبَّازِ، وَتَذَكَّرَ قَوْلَ يُوسُفَ بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ «اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ»؛ قَالَ: أَنَا أُخْبِرُكُمْ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الرُّؤْيَا؛ إِذْ أَسْتَفْتِي فِيهَا السَّجِينَ الْعَبْرَانِيَّ الَّذِي كُنْتُ مُصَاحِبًا لَهُ فِي سِجْنِ رَئِيسِ الشُّرْطَةِ، فَأَرْسِلْنِي أَيُّهَا الْمَلِكُ إِلَىٰ السِّجْنِ؛ فَفِيهِ رَجُلٌ عَالِمٌ يُعَبِّرُ الرُّؤْيَا، فَأَرْسَلَهُ، فَأَتَىٰ السِّجْنَ.

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ: يَا يُوسُفُ! أَيُّهَا الْعَظِيمُ الصِّدْقِ فِي كَلَامِكَ، وَتَأْوِيلِكَ، وَسُلُوكِكَ، وَتَصَرُّفَاتِكَ، وَصُحْبَتِكَ! فَسِّرْ لَنَا رُؤْيَا مَا رَأَىٰ؛ سَبْعُ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ بَقَرَاتٍ هَزِيلَاتٍ، وَرَأَىٰ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ؛ فَإِنَّ الْمَلِكَ رَأَىٰ هَذِهِ الرُّؤْيَا، لَعَلِّي أَرْجِعُ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الرُّؤْيَا إِلَىٰ الْمَلِكِ وَجَمَاعَتِهِ؛

لِيَعْلَمُوا تَأْوِيلَ مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ، وَلِيَعْلَمُوا مَكَانَتَكَ وَفَضْلَكَ.

لَمْ يَشْتَرِطْ شَيْئًا، وَإِنَّمَا مَضَىٰ فِي تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ لَوْ كَانَ سِوَاهُ لَقَالَ: لَا أُعَبِّرُ لَكُمُ الرُّؤْيَا حَتَّىٰ أَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْحَبْسِ، أَوْ حَتَّىٰ يُرَدَّ إِلَيَّ حَقِّي، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَفَادَهُمْ، وَأَرَادَ نَفْعَهُمْ.

قَالَ يُوسُفُ مُعَبِّرًا لِتِلْكَ الرُّؤْيَا الَّتِي تُشِيرُ إِلَىٰ الْوَضْعِ الزِّرَاعِيِّ وَالِاقْتِصَادِيِّ وَالْمَالِيِّ خِلَالَ الْخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً الْقَادِمَةِ؛ بِمَا فِيهَا مِنْ رَخَاءٍ، ثُمَّ قَحْطٍ، ثُمَّ غَوْثٍ: ازْرَعُوا سَبْعَ سِنِينَ بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ عَلَىٰ عَادَتِكُمُ الْمُسْتَمِرَّةِ فِي الزِّرَاعَةِ، فَمَا حَصَدْتُمْ مِنَ الْحِنْطَةِ فَاتْرُكُوهُ فِي سُنْبُلِهِ؛ لِئَلَّا يَفْسُدَ وَيَقَعَ فِيهِ السُّوسُ، وَاحْفَظُوا أَكْثَرَهُ لِوَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَهُ مِنَ الْحُبُوبِ.

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ الدَّأَبِ فِي الزِّرَاعَةِ -زِرَاعَةِ الْأَقْوَاتِ وَادِّخَارِهَا- طُوَالَ السِّنِينَ السَّبْعِ الْمُخْصِبَةِ.. يَأْتِي سَبْعُ سِنِينَ مُجْدِبَةٍ، تَكُونُ مُمْحِلَةً شَدِيدَةً عَلَىٰ النَّاسِ، يَأْكُلُ النَّاسُ وَتَأْكُلُ مَوَاشِيهِمْ فِيهَا مَا زَرَعْتُمْ وَادَّخَرْتُمْ لَهُنَّ مِنَ الطَّعَامِ فِي سَنَوَاتِ الْخِصْبِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْفَظُونَهُ وَتَدَّخِرُونَهُ؛ احْتِيَاطًا لِلطَّوَارِئِ الْمُلْجِئَةِ الَّتِي قَدْ يُسْمَحُ فِيهَا بِالْأَخْذِ مِنَ الِاحْتِيَاطِيِّ بِمَقَادِيرِ الضَّرُورَةِ.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾: لَيْسَ فِي الرُّؤْيَا الَّتِي رَآهَا الْمَلِكُ أَدْنَىٰ إِشَارَةٍ إِلَىٰ عَامِ الْغَوْثِ هَذَا؛ فَهَذَا التَّأْوِيلُ عَلَّمَهُ اللهُ إِيَّاهُ، فِيهَا سَبْعٌ مِنَ السَّنَوَاتِ -كَمَا أَوَّلَ- يَكُونُ فِيهَا الْخِصْبُ، ثُمَّ سَبْعٌ مِنَ السَّنَوَاتِ يَكُونُ فِيهَا الْجَدْبُ، وَلَيْسَ فِي الرُّؤْيَا أَدْنَىٰ إِشَارَةٍ إِلَىٰ عَامِ الْغَوْثِ هَذَا.

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ هَذِهِ السِّنِينَ الْمُجْدِبَةِ عَامٌ تَرْجِعُ فِيهِ تَصَارِيفُ الْكَوْنِ إِلَىٰ مِثْلِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَفِيهِ تَنْزِلُ الْأَمْطَارُ النَّافِعَةُ الَّتِي يُنْبِتُ اللهُ بِهَا الزُّرُوعَ، وَفِيهَا يَعْصِرُونَ مَا شَأْنُهُ أَنْ يُعْصَرَ؛ مِنْ نَحْوِ الْعِنَبِ، وَالزَّيْتُونِ، وَالْقَصَبِ، وَتَكْثُرُ النِّعَمُ عَلَىٰ النَّاسِ.

لَمْ يَكْتَفِ يُوسُفُ عليه السلام بِتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، بَلْ بَادَرَ فَوَضَعَ لَهُمْ خُطَّةَ عَمَلٍ لِمُوَاجَهَةِ سَنَوَاتِ الْقَحْطِ وَالْجَفَافِ، وَهِيَ خُطَّةٌ اقْتِصَادِيَّةٌ تَتَنَاوَلُ الْحَيَاةَ الزِّرَاعِيَّةَ وَالتَّمْوِينِيَّةَ لِلْأُمَّةِ خِلَالَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً تَأْتِي عَلَىٰ اسْتِقْلَالٍ.(*).

«وَلَمَّا اطْمَأَنَّ يُوسُفُ فِي مُلْكِهِ، وَخَرَجَ مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي كَانَ فِيهِ، وَخَلَتِ السُّنُونَ الْمُخْصِبَةُ الَّتِي كَانَ أَمَرَهُمْ بِالْإِعْدَادِ فِيهَا لِلسِّنِينَ الَّتِي أَخْبَرَهُمْ بِهَا أَنَّهَا كَائِنَةٌ؛ جُهِدَ النَّاسُ فِي كُلِّ وَجْهٍ، وَضَرَبُوا إِلَىٰ مِصْرَ يَلْتَمِسُونَ بِهَا الْمِيرَةَ مِنْ كُلِّ بَلْدَةٍ»(٢)، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يوسف: ٥٨].

«ذَكَرَ السُّدِّيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ السَّبَبَ الَّذِي أَقْدَمَ إِخْوَةَ يُوسُفَ بِلَادَ مِصْرَ: أَنَّ يُوسُفَ عليه السلام لَمَّا بَاشَرَ الْوَزَارَةَ بِمِصْرَ، وَمَضَتِ السَّبْعُ السِّنِينَ الْمُخْصِبَةُ، ثُمَّ تَلَتْهَا السَّبْعُ السِّنِينَ الْمُجْدِبَةُ، وَعَمَّ الْقَحْطُ بِلَادَ مِصْرَ بِكَمَالِهَا، وَوَصَلَ إِلَىٰ بِلَادِ كَنْعَانَ -وَهِيَ الَّتِي فِيهَا يَعْقُوبُ عليه السلام وَأَوْلَادُهُ-؛ وَحِينَئِذٍ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[يوسف: ٤٣-٤٩].

(٢) «تفسير الطبري» (١٦/ ١٥٣).

احْتَاطَ يُوسُفُ عليه السلام لِلنَّاسِ فِي غَلَّاتِهِمْ، وَجَمَعَهَا أَحْسَنَ جَمْعٍ، فَحَصَلَ مِنْ ذَلِكَ مَبْلَغٌ عَظِيمٌ، وَأَهْرَاءٌ مُتَعَدِّدَةٌ هَائِلَةٌ، وَوَرَدَ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ سَائِرِ الْأَقَالِيمِ وَالْمُعَامَلَاتِ، يَمْتَارُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَعِيَالِهِمْ، وَكَانَ عليه السلام رَحْمَةً مِنَ اللهِ عَلَىٰ أَهْلِ مِصْرَ»(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾ [يوسف: ٥٦-٦٠].

«لَمَّا تَوَلَّىٰ يُوسُفُ عليه السلام خَزَائِنَ الْأَرْضِ دَبَّرَهَا أَحْسَنَ تَدْبِيرٍ، فَزَرَعَ فِي أَرْضِ مِصْرَ جَمِيعِهَا فِي السِّنِينَ الْمُخْصِبَةِ زُرُوعًا هَائِلَةً، وَاتَّخَذَ لَهَا الْمَحَلَّاتِ الْكِبَارَ، وَجَبَا مِنَ الْأَطْعِمَةِ شَيْئًا كَثِيرًا وَحَفِظَهُ، وَضَبَطَهُ ضَبْطًا تَامًّا، فَلَمَّا دَخَلَتِ السُّنُونَ الْمُجْدِبَةُ، وَسَرَىٰ الْجَدْبُ حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَىٰ فِلَسْطِينَ الَّتِي يُقِيمُ فِيهَا يَعْقُوبُ وَبَنُوهُ، فَأَرْسَلَ يَعْقُوبُ بَنِيهِ لِأَجْلِ الْمِيرَةِ إِلَىٰ مِصْرَ.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ أَيْ: لَمْ يَعْرِفُوهُ.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أَيْ: كَالَ لَهُمْ كَمَا كَانَ يَكِيلُ لِغَيْرِهِمْ، وَكَانَ مِنْ تَدْبِيرِهِ الْحَسَنِ: أَنَّهُ لَا يَكِيلُ لِكُلِّ وَاحِدٍ أَكْثَرَ مِنْ حِمْلِ بَعِيرٍ، وَكَانَ قَدْ سَأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِمْ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ لَهُمْ أَخًا عِنْدَ أَبِيهِ؛ وَهُوَ بِنْيَامِين، فَقَالَ لَهُم: ﴿ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾، ثُمَّ رَغَّبَهُمْ فِي الْإِتْيَانِ بِهِ فَقَالَ: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٩٧).

﴿أُوفِ ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ فِي الضِّيَافَةِ وَالْإِكْرَامِ.

ثُمَّ رَهَّبَهُمْ بِعَدَمِ الْإِتْيَانِ بِهِ فَقَالَ: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِ بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾؛ وَذَلِكَ لِعِلْمِهِ بِاضْطِرَارِهِمْ إِلَىٰ الْإِتْيَانِ إِلَيْهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَحْمِلُهُمْ عَلَىٰ الْإِتْيَانِ بِهِ»[1].

حَفِظَ اللهُ مِصْرَ..

اللَّهُمَّ احْفَظْ وَطَنَنَا.

اللَّهُمَّ احْفَظْ وَطَنَنَا.

اللَّهُمَّ احْفَظْ وَطَنَنَا.

وَاحْفَظْ وُلَاةَ أُمُورِنَا.

وَاحْفَظْ وُلَاةَ أُمُورِنَا.

وَاحْفَظْ وُلَاةَ أُمُورِنَا، وَوَفِّقْهُمْ لِمَا فِيهِ خَيْرُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

❀❀❀

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٠١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْبِرُّ بِالْأَوْطَانِ مِنْ شَمَائِلِ الْإِيمَانِ»، الْجُمُعَة ١٧ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٤٠هـ| ٢٢-٢-٢٠١٩م.

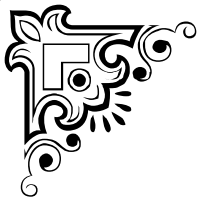

الْفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

فَضْلُ مِصْرَ وَأَهْلِهَا ٤

دَوْرُ مِصْرَ فِي بِنَاءِ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ٢٦

مِصْرُ مَلَاذُ الْعَالَمِ فِي الْأَزْمَاتِ عَبْرَ التَّارِيخِ ٣٣

الْفِهْرِسُ ٣٩